بسم الله الرحمن الرحيم

# □ الباب الأول □

## تمهيد

الحمد لله مستحق الحمد وأهلِه ، ومبين الهدى بإيضاح سبله ، أحمده حمدًا دائمًا بلا فترة ، وأشكره على نعمه التي لا تحصى كثرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادةً أدخرها نجاة من عذاب الحفرة ، وسلاماً من العدو في العسرة واليسرة .

أحمده على نعماه ، وأصلي على عبده ورسوله محمد الذي اختاره واجتباه ، وأحبه وارتضاه ، وعظَّمه وكرَّمه ، ورفعه على من سواه ..

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه .

لا يخفى على أي مؤمن صادق ما آل إليه أمر الإسلام وحال المسلمين في زماننا هذا من الغربة ، فالموافق المتابع فيه على وصفه الأول قليل ، والمخالف هو الكثير ، وقد اندرست رسوم كثير من الشرائع أو كادت ، حتى مدَّت الفتن أعناقها ، واستطار شررها ، وعم ضررها ، والتبست الأمور على الجمهور ، فظهر مصداق قول رسول الله ﷺ : « يدرس الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب ، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة »(*) الحديث ، وقوله ﷺ : « بدأ الإسلام غريبًا ، وسيعود كما بدأ ،

---

(*) قطعة من حديث رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) والحاكم في « المستدرك » (٤٧٣/٤) ، وقال : « صحيح على شرط مسلم »، وزاد في « الجامع الصغير » عزوه إلى البيهقي في « الشعب » ، والضياء عن حذيفة رضي الله عنه ، قال السندي : « وفي الزوائد : =

فطوبى للغرباء »[1] .

وفي رواية : « قيل : ومن الغرباء ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد الناس »[2] .

وفي رواية للإمام أحمد : « الذين يصلحون إذا فسد الناس »[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « طوبى للغرباء ، قالوا : يا رسول الله من هم ؟ قال : أناس صالحون في أناس سوء كثير ، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم »[4] ، وفي رواية :

---

= إسناده صحيح ، ورجاله ثقات » اهـ . من حاشيته على سنن ابن ماجه (٢/٤٩٨) ، و « درس الرسم دروسًا إذا عفا وهلك ، و« درس الثوب درسًا » إذا صار عتيقًا ، ويؤيد الثاني قوله : « وشى الثوب » أي نقشه .

(١) رواه مسلم رقم (١٤٥) في الإيمان : باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، « وطوبى » : ( فُعْلَى من الطيب : أي فرحة ، وقرة عين ، أو سرور وغبطة ، أو الجنة ، أو شجرة في الجنة ) اهـ . من « فيض القدير » (٢/٣٢١) .

(٢) أخرجه من حديث عبد الرحمن بن سنة رضي الله عنه عبد الله بن أحمد في « زوائده » (٤/٧٣-٧٤) ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : ( رواه عبد الله ، والطبراني ، وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، وهو متروك ) اهـ . (٧/٢٧٨) ، وله شواهد عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم ، انظر : « الغرباء » للآجري تحقيق بدر البدر ص (١٥-٢٦) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/٧١) ، وابن جرير (١٣/١٤٩) ، وابن حبان (٢٦٢٥ -موارد) ، والخطيب في « تاريخه » (٤/٩١) ، والآجري في « الغرباء » ص (١٦) وفيه ضعف ، ورواه من طريق أخرى الترمذي (٢/١٠٤) ، وقال : « حسن صحيح » ، وانظر : « السلسلة الصحيحة » رقم (١٢٧٣) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢/١٧٧،٢٢٢) ، وابن المبارك في « الزهد » (٧٧٥) ، والآجري في « الغرباء » ص(٢٣) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » : ( وفيه ابن لهيعة ، وفيه ضعف ) اهـ . (٧/٢٧٨) ورواه الطبراني بأسانيد قال الهيثمي : ( رجال أحدها =

« من يُبْغِضُهم أكثر ممن يحبهم » .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يأتي على الناس زمان ، الصابر فيه على دينه ، كالقابض على الجمر »[٥] .

قال المناوي رحمه الله : « شبه المعقول بالمحسوس ، أي الصابر على أحكام الكتاب والسنة يقاسي بما يناله من الشدة والمشقة من أهل البدع والضلال مثلَ ما يقاسيه من يأخذ النار بيده ، ويقبض عليها ، بل ربما كان أشد ، وهذا من معجزاته ﷺ ، فإنه إخبار عن غيب ، وقد وقع[٦] .

وقال المباركفوري رحمه الله : ( قال الطيبي : « المعنى : كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر لإحراق يده ، كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه ، لغلبة العصاة والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الإيمان » انتهى ، وقال القاري : « الظاهر أن معنى الحديث : كما لا يمكن القبض على الجمر إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة ، كذلك في ذلك الزمان لا يُتَصَوَّرُ حفظُ دينِهِ ونورِ إيمانه إلا بصبر عظيم » انتهى )[٧] اهـ .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن من ورائكم زمانَ صبر ، للمتمسك فيه أجْرُ خمسين شهيدًا منكم »[٨] .

---

= رجال الصحيح ) اهـ ، وانظر : « فيض القدير » (٢٧٤/٤) .

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٢٦١) (٤٢/٢) في « الفتن » : باب رقم (٧٣) ، وفي سنده عمر بن شاكر البصري ، وهو ضعيف كما في « التقريب » (٥٧/٢) ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب من هذا الوجه » ، ورمز له السيوطي بالحسن ، وصححه الألباني بشواهده كما في « السلسلة الصحيحة » رقم (٩٥٧) ، وانظر : تحقيق « جامع الأصول » (١٠/٥) ، و« الغرباء » للآجري ص (٢٦) .

(٦) « فيض القدير » (٤٥٦/٢) .

(٧) « تحفة الأحوذي » (٥٣٩/٦) .

(٨) ( أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١/٧٦/٣) ، وإسناده صحيح ، رجاله =

ويُرْوَى عن أبي أمامة الشعباني قال : سألت أبا ثعلبة الخُشَنيَّ رضي الله عنه قال : قلت : ( يا أبا ثعلبة ، كيف تقول في هذه الآية : ﴿ عليكم أنفسَكم ﴾ ؟ ( المائدة ١٠٥ ) ، قال : أما والله لقد سألتَ عنها خبيرًا ، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال : « ائتمروا بالمعروف ، وانتهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيتم شحًّا مطاعًا ، وهوى متبعًا ودُنيا مُؤْثَرة ، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، ودع عنك العوامَّ ، فإن من ورائكم أيامَ الصبرِ ، الصبرُ فيهن كالقبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم » )[٩] ، زاد أبو داود في حديثه : « قيل : يا رسول الله ، أجر خمسين رجلًا منا أو منهم ؟ قال : بل أجر خمسين رجلًا منكم » .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « العبادة في الهَرْج كهجرة إليَّ »[١٠] ، قوله : « العبادة في الهرج » أي الفتنة واختلاط أمور الناس ، « كهجرة إليَّ » قال النووي رحمه الله : « وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ، ويشتغلون عنها ، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد »[١١] اهـ .

---

= كلهم ثقات رجال مسلم ) اهـ من « السلسلة الصحيحة » رقم (٤٩٤) .

(٩) أخرجه الترمذي رقم (٣٠٦٠) في التفسير : باب : ( ومن سورة المائدة ) ، وقال : ( حسن غريب ) ، وأبو داود رقم (٤٣٤١) في الملاحم : باب الأمر والنهي ، وابن ماجه رقم (٤٠١٤) في « الفتن » : باب قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾ ، وابن حبان (١٨٥٠ - موارد) ، ( وفيه عتبة بن أبي حكيم الهمداني الشامي ، وثقه غير واحد ، وتكلم فيه غير واحد ، كذا في « تخريج السنن » (١٨٩/٦) ، وانظر : « مجمع الزوائد » (٢٨٢/٧) .

(١٠) أخرجه مسلم رقم (٢٩٤٨) في الفتن : باب فضل العبادة في الهرج ، والترمذي رقم (٢٢٠٢) في الفتن : باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه

(١١) «شرح النووي لصحيح مسلم» (٨٨/١٨)، وانظر (تحفة الأحوذي) (٤٤٣/٦-٤٤٥).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ( وجاء تفسير أيام الهرج فيما أخرجه أحمد والطبراني بسند حسن من حديث خالد بن الوليد أن رجلًا قال له : يا أبا سليمان ! اتق الله ، فإن الفتن ظهرت ، فقال : أما وابن الخطاب حيٌّ فلا ، إنما تكون بعده ، فينظر الرجل فيفكر هل يجد مكاناً لم ينزل به مثل ما نزل بمكانه الذي هو به من الفتنة والشر فلا يجد ، فتلك الأيام التي ذكر رسول الله ﷺ بين يدي الساعة أيام الهرج )[١٢] اهـ ، وقال المناوي رحمه الله : ( « كهجرة إليَّ » في كثرة الثواب ، أو يقال : المهاجر في الأول كان قليلاً لعدم تمكن أكثر الناس من ذلك ، فهكذا العابد في الهرج قليل ، قال ابن العربي : وجه تمثيله بالهجرة أن الزمن الأول كان الناس يفرون فيه من دار الكفر وأهله إلى دار الإيمان وأهله ، فإذا وقعت الفتن تعيَّن على المرء أن يفر بدينه من الفتنة إلى العبادة ، ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة ، وهو أحد أقسام الهجرة )[١٣] اهـ .

---

(١٢) « فتح الباري » (١٣/١٥) .

(١٣) « فيض القدير » (٤/٣٧٣) .

# [ فصـل ]

# المـــرأة

# سلاح ذو حدين

أخذت الأرض زخرفها وازينت .. وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وانصرف الناس عن دينهم إليها ، وانقاد السواد الأعظم لغرورها ، وافتتنوا بحضارة الغرب وزخارف الشرق ، وصادف هذا كله غفلة دعاة الحق ، وكتمان البعض - إلا من رَحِمَ الله - ما أنزل الله من البينات والهدى ، لكن أعداء الإسلام لم يغفلوا عنا ، فحملوا بخيلهم ورجلهم ، وجردوا الحملات المسلحة بسهام الشهوات وسموم الشبهات لتعيث في قلوب المسلمين فسادًا ، وتجوس خلال ديارهم ، لتسلخهم من دينهم الحق الذي ارتضى الله لهم .. .

وقد كان هؤلاء الأعداء خبثًا ماكرين ، في حربهم ، إذ تفرسوا في أسباب قوة المسلمين وحدَّدوها، ثم اجتهدوا في توهينها وتحطيمها بكل ما أوتوا من مكر ودهاء ..

علموا أن المرأة من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي ، وهم يعلمون أيضًا أنها سلاح ذو حدين ، وأنها قابلة لأن تكون أخطر أسلحة الفتنة والتدمير ، ومن هنا كان النصيب الأكبر من حجم المؤامرات التي بدأت بإسقاط الخلافة ، وانتهت - حتى الآن - بأعلام تحمل « نجمة داود » ترفرف في عواصم إسلامية(١٤) .

---

(١٤) وهل أتاك نبأ ما وقع في عهد السلطان العثماني « عبد المجيد » الذي أمر بتعمير القدس سنة ١٨٦٠ م و ( كان الوالي المعيَّن من قبله على المدينة - أي القدس - واسمه =

قال محمد طلعت حرب في كتابه « تربية المرأة والحجاب » : ( إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في الشرق - لا في مصر وحدها - إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل .. بل الفساد الذي عَمَّ الرجال في الشرق )[١٥] اهـ .

إن المرأة تملك مجموعة من المواهب الضخمة الجديرة بأن تبني أمة ، وأن تهدم أمة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الدنيا حُلْوة خَضِرَة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء »[١٦] .

وعن أسامة بن زيد ، وسعيد بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ما تركت بعدي في الناس فتنة أضرَّ على الرجال من النساء »[١٧] .

وروى أبو نعيم في « الحلية » بسنده عن حسان بن عطية قال : « ما أُتِيَتْ

---

= « كامل باشا » قد أجاز أن ترفع بعض الدول الأجنبية أعلامها على قنصلياتها فيها ، لأنها كانت قد حاربت في جانب تركيا ضد روسيا القيصرية ، فثار الأهالي ضده ، وأجبروه على العدول عن هذا القرار ، فطويت الأعلام الأجنبية في « القدس » في الحال ! ) اهـ من « اليهود المغضوب عليهم » ، ص (١٨٢) .

(١٥) نقلًا من « الحركات النسائية في الشرق » ص (١١) .

(١٦) رواه مسلم رقم (٢٧٤٢) في الذكر : باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، والترمذي رقم (٢١٩٢) في جملة حديث طويل في « الفتن » : باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وابن ماجه (٤٠٠٠) في الفتن : باب فتنة النساء ، وانظر : « شرح النووي » (١٧/٥٥) .

(١٧) رواه البخاري (٩/١١٨) في النكاح : باب ما يتقي من شؤم المرأة ، ومسلم رقم (٢٧٤٠) في الذكر والدعاء : باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، والترمذي في « الأدب » رقم (٢٧٨٠) : باب ما جاء في التحذير من فتنة النساء ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » ، وانظر : « فتح الباري » ط . السلفية (٩/١٣٨) .

أمةٌ قط إلا من قِبَل نسائهم »[١٨] .

وقد كان للمرأة المسلمة دور رائع في بناء الصرح الإسلامي نفرده بالبسط في فصول مقبلة إن شاء الله ، وقد انتفعت الأمة بهذا الحد النافع من سلاح المرأة في قرونها الخيرية ، ثم لم تلبث الحال أن تدهورت شيئًا فشيئًا ، وجُرِحت الأمة بالحد المهلك من « سلاح المرأة »[١٩] وهل ننسى أن المعزَّ الفاطمي – بعد أن فتح ما يلي إفريقية من البحر المحيط أخذ يرنو إلى غزو مصر واجمًا متهيبًا ، حتى جاءته الأنباء متواترة عن « استهتار » نساء الإخشيد ، فتحرك للعمل ، وأرسل قائده جوهرًا لفتح مصر ،وقال :« اليوم فُتِحَتْ مصر ، الآن لا يصدنا عنها شيء » ، فكان الأمر وفق ما قال[٢٠] .

وكذلك لا ننسى أن انحراف المرأة أو الانحراف بالمرأة كان السبب الأول في أن حضارات عتيقة انهارت وتمزقت كل ممزق ، ونزل بأهلها العقاب الإلهي ، والأوجاع والأمراض الفتاكة كما وقع قديمًا لليونان والرومان والفرس والهنود وبابل وغيرها من الممالك[٢١] ، أما في عصرنا الحاضر فقد ذخر التاريخ الحديث بعبر وَمَثُلات تزيد يقين المؤمن بشؤم هاتيك المعاصي والشهوات التي غرق فيها الغربيون ، وتبعهم عليها كثير من الأمم ، الأمر الذي ينذر بسوء العاقبة ، ويحق لنا معه أن نتساءل :

( أليس حسبنا أن نرى – مثلًا – حاملة لواء هذه الفوضى اللاأخلاقية « فرنسا » تركع أمام خصومها وتحت أقدام أعدائها مستسلمة في سرعة

---

(١٨) « حلية الأولياء » (٧٦/٦) .

(١٩) انظر : « المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها » الجزء الثالث .

(٢٠) « المرأة العربية » (٦٣/٣) ، و« تأملات في المرأة والمجتمع » لمحمد المجذوب (ص ٧٩) .

(٢١) انظر « الحجاب » للمودودي ص (٨-٣٦) .

عجيبة[٢٢] ، حتى قال لهم قائد حربهم الماريشال « بيتان » يقرعهم ، ويوبخهم : « زنوا خطاياكم بني قومي – إن خطاياكم ثقيلة ، إنكم لم تريدوا أطفالًا ، وهجرتم حياة الأسرة ، ونبذتم الفضيلة ، وكل المثل الروحية ، وانطلقتم إلى الشهوات تطلبونها في كل مكان ، فانظروا إلى أيِّ مصير قادتكم الشهوات ؟ » )[٢٣] .

ويحق لنا أيضًا أن نتعجب ونتساءل :

( ألم يكن جديرًا بهذا الغرب أن يلحظ العبرة في مصاير تلك الأمم التي سبقته إلى عبادة الجسد ؟ .. ألم يسمع بمصير اليونان والرومان وهما أقرب السابقين إليه ؟!

وصَحَّ عن التابعي الجليل جُبَيْرِ بن نُفير – رحمه الله – أنه قال :

( لما فُتِحت قبرص فُرِّقَ بين أهلها ، فبكى بعضهم إلى بعض ، ورأيت أبا الدرداء رضي الله عنه جالسًا وحده يبكي ، فقلت : « يا أبا الدرداء ! ما يُبكيك في يومٍ أَعَزَّ الله فيه الإسلامَ وأهله ؟! » ،

قال : « ويحك يا جُبير ! ما أهونَ الخَلْقَ على الله إذا هم تركوا أمره ، بينا هي أمةٌ قاهرة ظاهرة لهم الملك ، تركوا أمر الله عز وجل ، فصاروا إلى ما ترى ! » )[٢٤] .

**عبرة من « بومبي » :**

ولعمري إن في « بومبي »[٢٥] وحدها ما يكفي لإيقاظ ضميره لو أن

---

(٢٢) وكان ذلك عندما هُزمت فرنسا أمامَ الألمان في الحرب العالمية الثانية .

(٢٣) « ماذا عن المرأة » للدكتور نور الدين عتر (ص ٤١) .

(٢٤) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» ص(١٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢١٦–٢١٧).

(٢٥) ( « بومبي » – يطلق هذا الاسم على هضبة صغيرة قريبة من بركان « فيزوف » من =

في ضميره بقية من حياة .

لقد أخبرنا التاريخ بهلاك هذه البلدة في غمرة مفاجئة من حمم « فيزوف » طمستها في دقائق معدودة ، ولكنه لم يُعَرِّفْنا شيئًا عن هذه المدينة سوى أنها بلد « الفن الإيطالي » ، حتى إذا شاء الله أن يكشف عبرتها ، هدى الإنسان إلى إبرازها من تحت الركام ، فإذا هناك عجب .. شعب بأكمله استحال إلى محنَّطات لم يبل منها شيء ، ولم يتغير وضع ، حتى الخباز لترى في يديه لوحاً مستخرجًا به الخبز .. وحتى السكارى يمسكون بكؤوس الخمر على شفاههم ... وحتى الفاسقون في أشنع حالات الفحشاء .

وكان من بالغ عبر « بومبي » ما يراه السائحون هناك فوق مداخل بعض القصور : رسوم موازين منحوتة في الصخر ، في إحدى كفتي الواحد منها أكداس من الجواهر ، يقابلها في الأخرى « رمز اتخذوه للفاحشة » ، راجحًا على تلك الأكداس ، إشارة إلى أن « الشهوة » عندهم هي غاية الحياة .

إن مَثُلات القدر لم تنته من الأرض ، فلئن هلك بعض الأمم الظالمة بالخسف أو النسف أو الجوع أو المسخ ... إن ذلك لمستمر لم ينقطع بعد ولن ينقطع[٢٦] .. وإلا فما هذه الزلازل تقرع البشر هنا وهناك ؟ ... وما هذه السيول تجرف المدن والقرى في الشرق والغرب ؟ ... وما هذه الأمراض الفتاكة تجتاح الإنسان في كل مكان ؟ وقد عجز العلم عن استئصالها، فما يكاد أن يستريح من غارة حتى يستأنف التعبئة لدفع غارة !

---

= مقاطعة نابولي ، وهي في الأصل مدينة بلغ سكانها مائة ألف ، وكانت المحلة التي يقضي فيها أغنياء الرومان أوقات الاستمتاع بملذاتهم وشهواتهم .. وقد غطيت بحمم « فيزوف » منذ سنة ٧٩ بعد الميلاد ، واستمرت محجوبة حتى سنة ١٧٤٨ م حيث عثر أحد الفلاحين على بعض آثارها ، فبدأت الحفريات حتى أمكن إظهار أكثرها – عن لاروس ) اهـ من « تأملات في المرأة والمجتمع » لمحمد المجذوب هامش (ص ٧٤) ، وانظر : « جنود الرحمن » للأستاذ سعيد أحمد الأصبحي ص (٢٠–٢٥) .

(٢٦) انظر « فتح الباري » (١٨٤/٢) ، (٢٩٢/٨–٢٩٣) ، (٥٦/١٠) .

أما المسخ فما أكثره في هذا العصر ... الذي مُسِخَ فيه معظم البشر آلاتٍ تحرك آلات .. فلا وفاء ولا حنان ولا عدالة ولا أمان ... فكأن الأرض كلها على فُوَّهة بركان !

## من « أوربة » تأتي الفتن :

وليس الغرب وحده هو المسئول عن شيوع الفاحشة في قديم العالم وحديثه ... فكثير من الأمم مشتركة في تبعة هذا الاتجاه الرهيب .. ولكنْ لا مراء أن الغرب مسئول إلى حدٍّ كبير عن انتصار الرذيلة ، وامتداد ظلماتها على أنحاء العالم في عصرنا الراهن ، وذلك بما سخَّر من علومه ، ومواهبه للدعاية إلى هذه الفاحشة ، وتزيينها في أعين المغفلين .. وبخاصة من هذا الشرق .

ولعل سرور الغرب بنجاحه في إفساد أخلاقنا أعظم بكثير من سروره باستنزاف أموالنا في منتجاته الصناعية الكمالية وغيرها ، كما يشهد بذلك المُنَصِّرُ الأمريكي « بيارد دودج » حين يقول في محاضرة له عن الإسلام : « .. ويلوح لي أن هوليود قد أثرت في الجيل الحاضر من المسلمين أكثر من تأثير مدارسهم الدينية »(٢٧) .

ونحن العربَ – مع الخجل الكبير – لم نقصر في الترويج لهذه المفاسد قديمًا وحديثًا ، ولكن الرذيلة هي الرذيلة سواء انتسبت إلى الشرق أو إلى الغرب ، وعندما تهاجم النار دارًا لا يسأل أهلها : « من أين جاءت ؟ » ، قبل أن يبذلوا وسعهم في إخمادها ، ونحن عندما نشير إلى الغرب في كلامنا عن أخطار التحلل الأخلاقي المشهود ، فلكي ندل على المنفذ الكبير الذي يجب إغلاقه لنتمكن من حصر الخطر ، وقد كان لنا عبرة في ماضينا الوجيع

(٢٧) « تأملات » للمجذوب ، نقلًا عن « الإسلام في نظر الغرب » (ص ٢) .

يوم أهمل الناس أمثال هذه المفاسد ، فتركوها تستشري ثم تتجمع ، فتتحول إلى سيول ما لبثت أن نسفت سدودنا ، فأسلمت مواريثنا الضخمة في الشرق والغرب لقمة سائغة إلى متوحشة التتار ، وإلى متعصبة الأسبان والصليبيين .

وليس من الإخلاص لديننا وأمتنا أن ندع العابثين يبثون ألغامهم في « تحصيناتنا الأخلاقية » لِيُحَوِّلوا الملايين من أبنائنا وشبابنا إلى « عناصر هزيمة » تخدم أهداف أعدائنا في تقويض صرح الأمة ، بتحطيم شبابها ، وشحن أعصابهم بالمواد الناسفة .

وقد أدرك أحفاد التتار والصليبيين والرومان أن من أكبر ما لقيه آباؤنا الأولون من العون في فتوحهم لفارس والروم - بعد الإيمان - إنما جاء من انحلال الأخلاق في هاتين الدولتين ، فكان الدم الجديد ممثلًا في تلاميذ مدرسة النبوة ، ينازل الدم الفاسد المهترىء ، ممثلًا في جنود الإمبراطوريتين ، فلم يكن عجيبًا أن يقهر الإيمان الكفر ، وأن تغلب القوة الضعف ، وأن تهزم الصلابة الميوعة . . .

ثم لقد علم هؤلاء الموتورون أننا لم نخسر أمجادنا العظيمة إلا عندما فتحنا قلوبنا وعقولنا وبيوتنا لسموم هذه الأمم ، تكتسح بميوعتها صلابتنا ، وتذيب برذائلها رجولتنا ، فكانت هزيمتنا يوم ذاك هزيمة الخلائق قبل أن تكون هزيمة المعارك »[٢٨].

**ومن هنا :**

كانت المخططات التي رسمها الأعداء ترمي إلى شل المرأة المسلمة عن وظيفتها البناءة سلبًا ، ثم الزج بها إلى مواقع الفتنة وتدمير الأخلاق إيجابًا ،

---

(٢٨) « تأملات في المرأة والمجتمع » لمحمد المجذوب (ص ٧٣-٧٩) بتصرف .

تحت « ستار خداع من المصطلحات البراقة كالتحرير والتجديد والتقدم .

وهذا أحد أقطاب المستعمرين يقول : ( كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغْرِقوها في حب المادة والشهوات ) .

وقال أحد كبراء الماسونية :( يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأي يوم مدت إلينا يدها فُزْنا بالحرام ، وتَبدَّد جيش المنتصرين للدين ) .

وجاء في « بروتوكولات حكماء صِهْيُون » : ( يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان ، فتسهل سيطرتنا ، إن « فرويد » منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غريزته الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه )[٢٩] اهـ .

**وتقول المنصِّرة « آن ميليجان » :**

( لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بناتٍ آباؤهن باشوات وبكوات ، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وبالتالي ليس هنالك من طريق أقربَ إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة )[٣٠] اهـ .

لقد عز عليهم أن تجود المرأة المسلمة على أمتها كما جادت من قبل بالعلماء العاملين والمجاهدين الصادقين ، فصار همهم أن يعقموها أن تلد مثل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي ، وعائشة بنت الصديق ، وسمية بنت خُبَّاط ، وأسماء ذات النطاقين ، والخنساء .

(٢٩) « تربية الأولاد في الإسلام » لعبد الله ناصح علوان (١/٢٨٦-٢٨٧) .
(٣٠) « قادة الغرب يقولون » للأستاذ جلال العالم ص (٨٣) .

لقد ظلت المرأة المسلمة طيلة القرون الخالية مصونة متربعة على عرشها قارةً داخل « مصنع رهبان الليل ، وفرسان النهار » ، تهز المهد بيمينها ، وتزلزل عروش الكفر بشمالها ، فراح أعداؤها الموتورون يحيكون المؤامرة تلو المؤامرة ، وينصبون لها الشباك ، ويحتالون بشتى الحيل ، إلى أن تم لهم – في زمن قياسي – ما أرادوا ، ولم يرفعوا أيديهم عن أمتنا ، ويسحبوا جيوشهم من بلادنا إلا وقد اطمأنوا أنهم خلَّفوا وراءهم جيشًا أمينًا على مآربهم ، حفيظًا لعهودهم ، ممثلًا في قادة الفكر والأدب و « الفن » من المغررين المبددين الذين أطلق عليهم – زوراً – المحررين المجددين ، فتراهم يستخفون تحت العمائم ، وتارة يلبسون مسوح العلماء والناسكين ، وتارة يسفرون عن وجوههم الحقيقية ليجهروا بالعداوة والبطش بالذين يأمرون بالقسط من الناس ، وهم أنفسهم الذين ادَّعَوْا يومًا أنهم حماة الدين ، ورافعو لواء العلم ، ودعاة الإيمان .

أرى الإيمان دعوى يعجب الناسَ حسنُها
ويخدعُهم عنها الحديث الملفقُ
أكاذيب يزجيها الفتى وهو عالم
إذا ما ادَّعاها أنه ليس يصدق

# [ فصـل ]

## القضية الأم

## القرآن والسلطان

**اعلم أن الشريعة أصل ، والملك حارس ،**
**وما لا أصل له ... فمهدوم ،**
**وما لا حارس له ... فضائع .**

**الإمام أبو حامد الغزالي**

إن الإسلام كل لا يتجزأ ، وليست مظاهر الانحراف عن هذا الدين في معظم المجالات إلا نتيجة ضياع « السلطان » الذي جاء فيه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله : « ما يزعُ الناسَ السلطانُ أكثرُ مما يزعهم القرآن »[٣١] .

ونظرًا لما يمنحه الإسلام للسلطان من صلاحيات يحرس بها الدين ، ويذود عن حماه ، ويسوس الدنيا بالدين ، فيؤتمن على مصاير البلاد ، ومصالح العباد ، فطن أعداء الإسلام أيضًا لهذا المصدر العظيم من مصادر قوة الأمة ، فحرصوا على نقض هذه العروة الوثقى من عرى الإسلام ، وقد تم لهم ما أرادوا حين أفلحوا في الإجهاز على آخر شكل صوري للخلافة العثمانية ، فتحقق مصداق قول الصادق المصدوق ﷺ : « لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإسلام

---

(٣١) رواه عنه يحيى بن سعيد وأخرجه رزين ، وإسناده منقطع ، وهو مشهور من كلام عثمان رضي الله عنه « جامع الأصول » (٤/٨٣-٨٤) ، وَزَعَ يَزَعُ : إذا كفَّ ، وردع .

عُرْوَةً عروةً ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناسُ بالتي تليها ، فأوَّلهن نقضًا الحكم ، وآخرهن الصلاة »[٣٢] فكان سقوط الخلافة أول دركة انحطت بعدها الأمة إلى ما يليها من دركات سلختها من خصائصها المتميزة التي طالما احتفظ بها المسلمون رغم تقلبات القرون والمحن ، تلك الخصائص التي أورثتهم عبر الأجيال عزة ومنعة أذلوا بها رؤوس الجبابرة ، وكسروا ظهور الأكاسرة ، وقصموا رقاب القياصرة .. وهذا شوقي يصرخ عقب انهيار الخلافة متوقعًا ما يمكن أن تتمخض عنه تلك الفتنة[٣٣] :

فَلَتَسْمَعُنَّ بكلِّ أرضٍ داعيًا ... يدعو إلى «الكذاب» أو لِسَجَاحِ[٣٤]
وَلَيُشْهَدَنَّ بكل أرضٍ فِتْنَةٌ ... فيها يُبَاعُ الدينُ بيع سَمَاحِ

ورحم الله الإمام عبد الله بن المبارك إذ قال :[٣٥]

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يدفع الله بالسلطان معضلة ... في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

---

(٣٢) أخرجه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه الإمام أحمد (٢٥١/٥) ، وابن حبان (٢٥٧ –موارد) ، والحاكم (٩٢/٤) وقال : « صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع الصغير » (١٥/٥) ، رقم (٤٩٥١) .

(٣٣) الشوقيات (١٠٩/١) .

(٣٤) المراد بالكذاب « مسيلمة » الذي ادعى النبوة ، وادعى أنه أُشْرِكَ مع النبي ﷺ في النبوة ، ثم جاء بقرآن يضحك الناس ، وتزوج « سجاح » التي ادعت هي الأخرى النبوة بعد موت النبي ﷺ ، فقالوا لمسيلمة حين تزوجها : لابد لها من مهر ، فقال : مهرها أني أسقطت عنكم صلاتي الفجر والعتمة ، ثم إنها رجعت عن غيها وأسلمت ، وما زالت تبين فضائح مسيلمة حتى قتل – انظر « صيد الخاطر » لابن الجوزي (ص ٥٠١–٥٠٣) ، « البداية والنهاية » (٥١/٥، ٥٢) ، (٣٢٦/٦) .

(٣٥) « غذاء الألباب » للسفاريني (١٩٨/١) .

لقد غدت عودة الحكم الإسلامي والسلطان المسلم أملًا يراود المسلمين في شتى بقاع الأرض ، وتوحدت عليه قلوبهم ، ولكنهم اختلفوا أيما اختلاف في كيفية هذه العودة المرتقبة ، التي وعد الله عز وجل بها في قوله تعالى : ﴿ **هو الذي أرسل رسُولَه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾[٣٦] ، ووعد بها رسول الله ﷺ في غير ما حديث[٣٧] .

ومع تباين السبل المقترحة للوصول إلى هذا الهدف واختلاف أصحابها إلا أنه يكاد يتفق الجميع على أن الخطوة الأولى هي أن نصلح أنفسنا فإن الهداية فرع الاهتداء ، والإصلاح فرع الصلاح ، « ولا يستقيم الظل والعود أعوج » ، فمن هنا كان لزامًا علينا أن نصحح فهمنا للإسلام الذي نجاهد لتمكينه ، والذي تأثر كثيرًا بحملات الغزو الفكري في كثير من المجالات ، ثم نلتزم بما يمليه علينا هذا التصحيح .

ومن هذه المجالات الخطيرة وضع المرأة ... إنها قضية لا تحتمل التأجيل إلى ما بعد تحقيق الأمل المنشود بإذن الله سبحانه وتعالى ، لسبب رئيسي ألا وهو أن قيام الدولة الإسلامية وبعث الأمة المسلمة منوطان بوضع المرأة المسلمة في كثير من الجوانب .. .

فالمرأة هي أم المجاهدين ، وبنت المجاهدين ، وزوج المجاهدين ، وأخت المجاهدين ، وبدون « المرأة المسلمة » و « البيت المسلم » لا يمكن أن تقوم « الدولة المسلمة » ، وعودة الإسلام لن تكون إلا على أيدي وأكتاف أولي عزم يقيمون الإسلام في أنفسهم وبيوتهم ، ويحكمون بما أنزل الله في خاصة أنفسهم وأهليهم أولًا ، حتى يستحقوا تنزل النصر عليهم ، وحتى يأمنوا أن

(٣٦) التوبة (٣٣) .

(٣٧) انظر تفسير « محاسن التأويل » للقاسمي (٣١٢٩/٨-٣١٣٢) .

يخذلهم الله في مواطن اللقاء مع الأعداء ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ (الرعد:١١) .

ونحن - المسلمين - مكلفون بتطبيق « ما أنزل الله » متعلقًا بنظم الحياة الإسلامية الشاملة في مجتمعاتنا ، فإذا تَنَحَّلْنا المعاذير لتقصيرنا في هذه الفريضة ، فماذا عسى أن يكون عذرنا إذا لم نحكم « بما أنزل الله » في بيوتنا ؟ وماذا يكون عذرنا ونحن قادرون بعون الله على أن نستقي فهمنا للإسلام ، ولقضية المرأة - على وجه الخصوص - من منابع الإسلام الصافية ؟

إنه لا يسوغ لنا ، ولا يليق بنا أن نتلفت حيارى بحثًا عن الطريق ، وبين أيدينا المعين الذي لا ينضب في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، فنكون :

كالعِيس(٣٨) في البيداء يقتلها الظَّما والماء فوق ظهورها محمولُ

(٣٨) العِيس : بكسر العين : الإبل البيض يخالط بياضَها شُقْرةٌ - من « القاموس المحيط » (٢/٢٤٢) .

## [ فصل ]

# بين الترقيع ... والأصالة

إن « الترقيع » و « التقليد » مرفوضان في طريق الإصلاح الإسلامي ، فوضع المرأة الحالي الذي يحاول أن يُسَوِّغَهُ بعضُ المنهزمين بنصوص إسلامية ، إنما هو « ترقيع » في أحكام الإسلام التي لا تحتاج إلى عملية « تجميل » ليقبل عليها الناس ، لأن هذه الأحكام الربانية السامية تحمل في طياتها جاذبية كامنة تهوى إليها أفئدة المؤمنين والمؤمنات الذين رَضَوْا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا .

إن تقليد أغلب المسلمين والمسلمات لغيرهم إنما هو أمارة الانهزام الداخلي الذي ينعكس في هذه التبعية العمياء التي أودت بأصالتهم ، وأفقدتهم « العزة الإسلامية » ، وجعلتهم يهونون على ربهم ، ويهونون على أنفسهم .

**« ويل للمغلوب من الغالب » :**

ولله دَرُّ العلامة ابن خلدون رحمه الله إذ عقد فصلًا خاصًّا في « مقدمته »[٣٩] جعله بعنوان :

« المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيِّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده » ، وبيَّن فيه أن الذي يقلد غيره إنما هو الضعيف والناقص والمغلوب والجاهل ، فقال :

---

(٣٩) « مقدمة ابن خلدون » ، الفصل الثالث والعشرون (ص ١٤٧) .

« ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدًا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها ، بل وفي سائر أحواله ، وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائمًا ، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمالَ فيهم ، حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ، ولها الغلب عليها ، فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير ، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة أي ( الأسبان ) ، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحْوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يَسْتَشْعِرُ من ذلك الناظرُ بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء ، فالأمر لله » اهـ .

وصدق ابن خلدون رحمه الله ، فلقد توقع استيلاء الإفرنج على الأندلس الإسلامية ، وخروج المسلمين منها قبل أن يقع ذلك بنحو مئتي سنة ، ولم يكن له دليل على ذلك إلا مشاهدته تشبه المسلمين بالأعداء في ملابسهم وشاراتهم وعاداتهم وأحوالهم .

إن الاعتزاز بالإسلام ، والفخر بأحكامه الإلهية ، والاستعلاء بها على كل ما خالفها من نظم ومناهج ، هو مفتاح عودتنا إلى الإسلام ، وعودة الإسلام إلى حياتنا .

**« الإسلام يَعْلُو ، ولَا يُعْلى »**[٤٠] :

وتأمل مَعنى هذه القصة التي رواها الحاكم من طريق ابن شهاب قال :

(٤٠) أخرجه الدارقطني في « سننه » (٣٩٥) ، والبيهقي (٦/٢٠٥) ، عن حشرج بن عبد الله بن حشرج حدثني أبي عن جدي عن عائذ بن عمرو المزني أنه جاء يوم الفتح مع أبي سفيان بن حرب ، ورسول الله ﷺ حوله أصحابه ، فقالوا : « هذا أبو سفيان ، وعائذ بن عمرو ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا عائذ بن عمرو ، وأبو سفيان ، الإسلام أعز من ذلك ، الإسلام يعلو ، ولا يُعْلَى » ، وحسَّنه الحافظ في « الفتح » (٣/٢٢٠) ط . السلفية ، وقال : ( وفي هذه القصة أن للمبدأ به في الذكر تأثيرًا في الفضل ، لما يفيده من الاهتمام ) اهـ ، وقد أراد ﷺ هنا أن يعلمهم البداءة بذكر المسلم،وانظر : « إرواء الغليل » (٥/١٠٦-١٠٩) ، « جامع الأصول » (٩/٦٠٤) .

« خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ، ومعنا أبو عبيدة بن الجراح ، فأتوا على مخاضة ، وعمر على ناقة ، فنزل عنها ، وخلع خفيه ، فوضعهما على عاتقه ، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة ، فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ، أأنت تفعل هذا ؟! تخلع نعليك ، وتضعهما على عاتقك ، وتأخذ بزمام ناقتك ، وتخوض بها المخاضة ؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك ! فقال عمر : أوَّه لو يقل ذا غيرُك أبا عبيدة جعلتهُ نكالًا لأمة محمد ﷺ ، إنا كنا أذلَّ قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله »[٤١] ، وفي رواية : ( يا أمير المؤمنين ، تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك هذه ؟ فقال عمر : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام ، فلن نبتغي العز بغيره ) .

وهذا ربعي بن عامر يرسله سعد رضي الله عنه قبل القادسية رسولًا إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحرير ، وأظهر اليواقيت واللآلي الثمينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك ، فقال : إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت ، فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟ فقال : ( الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى

---

(٤١) رواه الحاكم (١/٦١-٦٢) ، وقال : « صحيح على شرط الشيخين » ، ووافقه الذهبي ، قال الألباني - حفظه الله -: « وهو كما قالا » اهـ . من « الصحيحة » رقم (٥١) .

عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام )[٤٢] .

( وحينما كانت البعثات الطُّلابية النصرانية تفد إلى ديار الإسلام وحواضره لتلقي العلم رغمًا عن رجال الكنيسة كان ذوو هؤلاء الطلاب ورجال الكنائس التي يتبعونها يبذلون كل جهدهم لوضع حواجز نفسية في نفوس هؤلاء الطلاب وعقولهم تحول دون تأثرهم بالفكر الإسلامي وبحياة المسلمين ، ولقد بلغ من حرص الكنيسة على هذا أنها أصدرت قرارًا كنسيًّا تقول فيه :

« إن هؤلاء الشبان الرقعاء الذين يبدأون كلامهم بلغات بلادهم ، ثم يكملون كلامهم باللغة العربية لنعلم أنهم تعلموا في مدارس المسلمين ، هؤلاء إن لم يكفوا عن ذلك فستصدر الكنيسة ضدهم قرارات حرمان .. »

وأما اليهود فتلمودهم وشروحه وتعاليم أحبارهم حافلة بكل ما من شأنه إيجاد الحواجز المادية والنفسية بينهم وبين سواهم ، ولولا هذه الحواجز – بغض النظر عن خطئهم أو إصابتهم فيها – لذاب اليهود منذ قرون في سواهم من الأمم ، ولانتهى وجودهم )[٤٣] .

**« موشى ديان » .. واعظًا :**

( لقي وزير الدفاع الإسرائيلي في إحدي جولاته شابًّا مؤمنًا في مجموعة من الشباب في حيٍّ من أحياء قرية عربية باسلة ، فصافحهم بخبث يهودي غادر ، غير أن الشاب المؤمن أبى أن يصافحه ، وقال له : « أنتم أعداء أمتنا ، تحتلون أرضنا ، وتسلبون حريتنا ، ولكن يوم الخلاص منكم لابد آتٍ

---

(٤٢) « البداية والنهاية » ( ٣٩/٧ ) .

(٤٣) « النهي عن الاستعانة والاستنصار في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار » المقدمة (ص ١١) .

بإذن الله ، لتتحقق نبوءة الرسول ﷺ : « لتقاتلن اليهود أنتم شَرْقِيّ النهر ، وهم غَرْبِيّه » ، فابتسم ديان الماكر ، وقال : « حقًا ! سيأتي يوم نخرج فيه من هذه الأرض ، وهذه نبوءة نجد لها في كتبنا أصلًا ... ولكن متى ؟ » واستطرد اليهودي الخبيث يقول : « إذا قام فيكم شعب يعتز بتراثه ، ويحترم دينه ، ويقدر قيمه الحضارية ، وإذا قام فينا شعب يرفض تراثه ، ويتنكر لتاريخه .. عندها تقوم لكم قائمة ، وينتهي حكم إسرائيل » )[٤٤]

---

(٤٤) « فصل الدين عن الدولة ضلالة مستوردة » للأستاذ يوسف العظم (ص ٧٠-٧١) .

## [ فصـل ]

# وضع المرأة ومسئولية الولاة

« عندما تميد الأرض تحت أقدام الناس لا تجد بينهم من يستطيع تحديد موقفه ولا مصيره ، إذ يكون الجميع مأخوذين بدهشة المفاجأة ، فليس لدى أحدهم فرصة لسؤال غيره ، بل لا يخطر في بال أحد أن يسأل غيره .

والعين التي تستطيع تسجيل هذه الحركة العامة يجب أن تكون خارج المجال ، وفي وضع معزول تمامًا عن تأثيره .

ويبدو أن العقل الذي صنع قصة جحا وهو يقطع الغصن في وضع معكوس إنما يريد إعطاء هذه الصورة .. صورة فقدان الوعي الذي يصاحب مثل هذه الحركة في مجالها المعين ، فجحا يقف على طرف غصن يعمل هو في قطعه من ناحية الجذع ، دون أن ينتبه إلى حتمية السقوط الذي سيصير إليه ، فإذا مر به من ينبهه إلى هذا المصير ، الذي انتهى إليه فعلًا بعد قليل ، نهض يعدو خلفه ليقول له : لقد عرفت أمر سقوطي قبل حصوله ... فلن أدعك حتى تنبئني بنهايتي متى تحين !

هذه الصورة تمثل واقع المرأة المسلمة اليوم ، في اندفاعها المحموم وراء المجهول ، الذي لم تجرب قط أن تسأل نفسها عن غايته ومحتواه .. وهو واقع لا يتاح التخلص من ضغطه إلا للإنسان الذي استطاع أن يعزل نفسه عن مؤثراته ، ضمن حصانة من الفكر الحر المزود بمقاييس الطوارىء »[٤٥] .

---

(٤٥) « تأملات في المرأة والمجتمع » لمحمد المجذوب ص (٧-٨) .

والمؤلم في هذا الواقع المرير أن المرأة قد رضيت أن تُؤَلِّفَ نقطة الضعف ، فهي ملقية بزمامها إلى التيار يقذف بها حيث اتجه وسار ، دون أن تفكر بالمقاومة ، وأصبحت كل طاقاتها موجهة للاندفاع وراء هذا التيار فأصبحت كحجرة الانفجار في محرك السيارة ، لا عمل لها إلا الدفع ، ولكنه الدفع الذي يسوق إلى الهاوية .

بل بلغ الاستخفاف بها مداه حين صوروا لها أنها بهذا المسلك ترتفع إلى أعلى وأعلى ، ولم تفطن إلى أنها في حقيقة الأمر قد صارت كالكرة الطائرة ، تتقاذفها أيدي اللاعبين فتتهادى في كل اتجاه .. ولعلها مع ذلك لو نطقت لفاخرت بأنها ترفع على أكف المعجبين إلى عليين !

لقد جاهرت المرأة الجديدة بالإعراض عن دينها ، وقد يلتمس المتكلفون لها عذرًا لنقص عقلها ودينها ، ولكن ما هو العذر الذي قد يلتمس للرجال الذين استغلوا نقصها ، فنقصوا عنها عقلًا ودينًا أيضًا ، وراحوا يدفعونها بإصرار إلى هلاكها بما يخالف العقل والنقل والفطرة .

لقد جاء اليوم الذي يدفع فيه الرجال زوجاتهم وبناتهم دفعًا إلى مخالطة الرجال والعمل في محافلهم ، فما أجدرهم بقول الشاعر :

جرد السيفَ لرأسٍ طارت النَّخْوةُ منه

إن الحديث عن المرأة لا ينتهي ، لأنها نصف البشرية ، والذي يهمنا أن نؤكده هو أن كل ما نسطره في حق المرأة إنما هو من منطلق غيرتنا بصفتنا مسلمين على أخواتنا في الإسلام ، وحرصنا على صيانتهن وحمايتهن ، وليس انطلاقًا من « عداوة » للمرأة ، فإنه لا يتصور رجل سَوِيٌّ يكون عدوًّا للمرأة ، أليست المرأة هي أمه أو زوجه أو ابنته أو أخته أو قريبته ، فكيف يكون عدوًّا لهؤلاء ؟!

وكذا ينبغي ألا ننخدع بأكاذيب من يَدَّعون « صداقة المرأة » ،

ويقومون على دعوة تحريرها ، ويقودون تجمعاتها ، وهم في الحقيقة ألدُّ أعدائها ، يتاجرون بقضيتها ، وينتفعون بانحلالها ، مموِّهين على ضحاياهم ببريق المصطلحات الخداعة ، وما هي في الحقيقة إلا كساتر الدخان الذي يطلقه المحاربون لتغطية الزحف ، ثم لا تلبث النفوس الضعيفة أن تخر صريعة تحت مطارق أوهام « الحرية والتحرير » وقد تبلورت على أيدي هؤلاء « الأنصار والأصدقاء » في معانٍ طريفة من الفوضى المنظمة .

### فتش عن اليهود :

[ لقد ترقت المفاهيم السياسية في هذا العالم الفسيح حتى أصبح كل ذي بصيرة يملك من قوة الحَدْسِ ما يكشف له اليد الصهيونية(٤٦) وراء انهيار صرح الأخلاق في كثير من الأمم والشعوب ، فما بالنا نغفل عن تدبير هذه اليد المختفية وراء قضايانا الاجتماعية عامة ، وقضية المرأة المسلمة خاصة ،

---

(٤٦) ونظرة إلى كتاب ( أوقفوا هذا السرطان ) للدكتور سيف الدين البستاني الذي حلل فيه بروتوكولات اليهود ومساعيهم في إفساد المرأة « وتحريرها » تبين حقيقة هذه اليد الصهيونية وراء إفساد المرأة المسلمة ، وقد اتفق مخطط الدولة الصهيونية العالمية التي تريد أن تسيطر على العالم وتتسلط على كافة الأمم بعد أن تقيم « ملك داود » على أن من السبل التي يجب اتباعها لإخضاع من يسمونهم ( الجويم ) أو ( الأمميين ) حربَ الأخلاق وتقويض نظام الأسرة بشتى الوسائل الممكنة :

فالأفلام الماجنة توزعها في العالم « دور صهيونية » ، والأزياء الفاحشة تتميز بها دور الأزياء الصهيونية ، والمجلات الخليعة والقصص الفاجرة تصدرها دور طبع يهودية ، وكثير من « أبطال » ! « الفن » الذين أسسوا ألوانه المتعددة ونشروها في ديار المسلمين هم من اليهود .

وصدق الله العظيم : ﴿ **ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين** ﴾ ( المائدة ٦٤ ) – انظر « المرأة المسلمة » لوهبي غاوجي (ص ٢٥٢) ، « ماذا عن المرأة » للدكتور نور الدين عتر (ص ٤١) ، و « خطر التبرج والاختلاط » لعبد الباقي رمضون (ص ١٩٦) .

إن المشكلة في حقيقتها صارت تخضع من جراء التكتيك الصهيوني الصليبي لإيحاءات تسلطها على مشاعرنا المختبرات والأجهزة المختصة ، حتى لا نستطيع أن نوجه سلوكنا الفكري طبقًا للمقاييس التي تحددها عقولنا وتعيها ضمائرنا ، وهذا أمر من حقه أن يستوقف أولي البقية من الإيمان والحياء ليثير تفكيرهم فيما وراءه من جوائح لا تُبْقِي ولا تَذَر .

إن ثمة توجيهًا خفيًا يستهدف وضع المرأة المسلمة في ظروف مقصودة تسلبها الثقة بنفسها ومقوماتها ، ولا جَرَمَ أن الهدف من وراء ذلك خطير رهيب ، إنه تحطيم السدود الروحية التي حفظت لهذه الأمة حتى الآن مشاعر العزة والحرية الدافعة إلى الجهاد والبذل في سبيل الله ، ثم اجتثاث الجذور التي تربطنا في أعماق التاريخ برسالة المجد الإلهي ، التي جعلت من أمتنا خير أمة أخرجت للناس .

لقد بات وضع المرأة المسلمة في مهب الأعاصير ، فليس من الحكمة أن يترك زمامه للأمواج تقذف به حيث يشاء أولو الأهواء ، ولا ريب أن الواجب يضع على كل عاتق نصيبه من المسئولية ، لا يُستَثنى من ذلك صغير ولا كبير ، ولا حاكم ولا محكوم .

على أن الخطر بات من « الإحكام » بحيث لا يصلح لدرئه عمليًا سوى « الكبار » الذين وضع الله في أيديهم مصاير البلاد ، ومصالح العباد ، فرب حكمة من مسئول تكون كالسد في طريق السيول .

ولا نريد أن نكذب على الحقيقة فنقول : « إن الأمة تريد » ، فالأمة غافلة عما يراد بها من كيدٍ بهذه الانحرافات الاجتماعية المُبَيَّتة ، وما دامت في غمرة الرجفة ، فعسير عليها – إن لم نقل : مستحيل – أن تدرك واقعها ..

وإنما نقول : إن واجب الديانة ثم مصلحة الأمة يهيبان بالمسئولين أن

يضغطوا على كابح القاطرة ، قبْل أن تصير إلى حافة الهاوية ، وأين موضع هذا الكابح إن لم يكن في التشريع الذي يفرض على المرأة أن تكف عن السباق المجنون الذي تمارسه في حلبة التقليد الأعمى ..

التشريع الذي يقول لمعاول الهدم من أصحاب الفنون الهابطة : « ارتفعوا عن هذه الأوحال ، فليس في حياة الأمم الجادة مجال لرقاعات السفهاء وثرثرات السخفاء » ، التشريع الذي يقول للمرأة : « مهلًا ، لقد ملأتِ بتهتكِكِ دروبَ الناس ألغامًا ، فاقني حياءك ، والزمي حدود الحشمة التي حتمتها تعاليم السماء على لسان جميع الأنبياء ، فإن لم تفعلي ذلك مختارة فعلتِهِ مكرهة » .

فليست أمريكا وهي مزرعة الرذائل اليهودية بأغير على الآداب من أمة المسلمين(٤٧) ، وليس « بيتان » ابن باريس أم الفسوق والفجور بأحرص على هذه الآداب من أمة القرآن ](٤٨) .

---

(٤٧) سُنَّ في بعض الولايات المتحدة قانون يفرض على المرأة ألا يزيد كعب حذائها عن مقياس معين ، وقد زُوِّد رجال الشرطة هناك بمنشار يقطع كل زائد عن المباح ، وقال جورج بالوشي في كتابه « الثورة الجنسية » : ( في سنة ١٩٦٢ صرح كنيدي بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارقٌ في الشهوات ، لا يُقَدِّر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التى أُغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية ، وفي سنة ١٩٦٢ صرَّح خروشوف بأن مستقبل روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها لأنه مائع منحل غارق في الشهوات .

وفي شهر أبريل سنة ١٩٦٤ أثيرت في السويد ضجة كبرى عندما وجَّه (١٤٠) طبيبًا من الأطباء المرموقين مذكرة إلى الملك والبرلمان يطلبون فيها اتخاذ إجراءات للحد من الفوضى الجنسية التي تهدد حقًا حيوية الأمة وصحتها ، وطالب الأطباء بسن قوانين ضد الانحلال الجنسي ) اهـ . من « تربية الأولاد في الإسلام » (٢٧٨/١، ٢٨٠) .

(٤٨) في فرنسا أعلن المريشال ( بيتان ) عقب هزيمة بلاده أمام الألمان في الحرب العالمية =

اهـ[٤٩] .

[ لقد فقدنا شخصيتنا المميزة ، فبات كل ما نستطيعه هو تقليد هذا الغرب الذي آمنا بتفوقه ، وأقبلنا نعدو وراءه دون وعي ، فإذا نحن أسرع منه هبوطًا إلى أسفل ، وإذا نحن نتلقى كل أخطائه الاجتماعية بالقبول والتطبيق ، لا نشك في أنها خير ما أبدعه التقدم البشري ، حتى إذا وجد من كبار رجال الغرب من يكشف فضائح هذه الأخطاء أغلقنا أسماعنا دون صوته ! .. ولا عجب في ذلك ، فالانحدار أيسر من الصعود ، وليس من السهل أن تكلف من يهوي في السفح أن يتماسك فجأة عند نقطة الخطر ، فضلًا عن أن تأمره بالصعود ، وقديمًا صور الشاعر هذا المعنى بقوله :

سُبُل الغَيِّ سهلة واسعات ... وطريق الهدى كَسَمِّ الخِياط
مصعد شَقٌّ لا تُكَلِّفه الضُّمَّرُ ... إلا مضروبةً بالسياط

ومن هنا كان إصلاح الأمم المتخلفة موقوفًا بالدرجة الأولى على قادتها السياسيين ، الذين بيدهم مقاليد الإصلاح .

وحق ما قاله حكيم العرب ( أكثم ) قديمًا من أن « إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي ) .. ولكن صحة هذا الرأي مقيدة بنسبة الأوضاع ؛ فالشعوب الواعية هي التي تملي خطط الحكام ، ومن وعيها السياسي يستمد هؤلاء اتجاهاتهم ، ولكن الجماعات التي لم تستكمل نضجها السياسي ، ولم تستبن لها الأهداف في وضوح ، وبخاصة إذا كانت حديثة

---

= الثانية : أن سر الكارثة يعود إلى الفجور ، وأصدر تشريعًا يحدد للمرأة قياس ثوبها وأكمامها بشكل يستأصل دابر الفتنة ، وها هو ذا القسيس ( نيريري ) ديكتاتور تنزانيا يفعل بالأمس القريب قريبًا من ذلك ، وكانت قوات الشرطة في العراق ( سنة ١٩٦٨ ) تتتبع النساء اللائي ترتفع ثيابهن فوق الركبة ، وتطاردهن ، فإن لاذت المرأة بالفرار ، وإلا قام البوليس بطلاء ساقها وقدمها بدهان أزرق عقوبة لها على ذلك .

(٤٩) « تأملات » للمجذوب ص (١٣-١٦) بتصرف .

النهوض من عثرات قرون وقرون .. هذه الجماعات لا تقبل الإصلاح إلا بقوانين ، وكل دعوة فيها إلى الخير ينبغي أن تسبق بالأسوة الصالحة أولًا في شخص الحكام ومَن حولهم[٥٠] ، ثم بالمؤيدات القانونية التي تحسن التأديب لمن يند عن طريق الجماعة ... ولقد كان من سنة الفاروق رضي الله عنه كلما أراد أن يشيع في الناس أمرًا ، أن يجمع أهل بيته ويقول لهم : « إني آمرٌ الناسَ بكذا ، وإنهم لينظرون إليكم كما تنظر الطير إلى اللحم ، فوالله لا أعلم بمخالفة أحدكم لهذا الأمر إلا أضعفت له العقوبة » ][٥١] .

---

(٥٠) انظر تفصيل ذلك في « الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة » للأستاذ عبد الله ابن عمر الدميجي طبعة دار طيبة ص (٣٧١-٣٧٤) .

(٥١) ( تأملات في المرأة والمجتمع ) لمحمد المجذوب (ص ٩٦-٩٧) .

[ فصل ]

# موقف دعاة الإسلام
# من قضية المرأة(٥٢)

﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ :

إن دعاة الإسلام يدعون أولًا إلى الرجوع إلى حقيقة الإسلام ثم إلى صورة الإسلام ، ثم إنهم يعتقدون أنهم يخاطبون أحد رجلين :

إما كافر مكذب ، فمهمتهم الأولى إزاءه دعوته إلى التصديق والإقرار بحقيقة التوحيد والرسالة ، وإما مؤمن مصدق فواجبهم نحوه إقامة الدليل على حكم الله وحكم رسوله ﷺ من الكتاب المجيد والسنة المطهرة ، وعليه أن يقول حينئذ « سمعنا وأطعنا » ، إنهم لا يُحَكِّمون آراءهم في « قضية المرأة » ، ولا في أي قضية قال الله سبحانه فيها قولًا ، وحكم فيها حكمًا ، شعارهم الذي يرفعونه دائمًا قول الله عز وجل : **﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾** وقوله سبحانه : **﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾** وقوله سبحانه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾** الآية .

ولذلك تراهم لا يُحَكِّمون أهواءهم بل كلام الحكيم الخبير العليم ،

---

(٥٢) استفدت كثيرًا من فقراته من كتيب « المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التحرر » للأشقر ، بتصرف .

ولا يَحْكُمون لصالح الرجل ضد مصلحة المرأة ، ولا لمصلحة المرأة ضد مصلحة الرجل ، ذلك بأن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، إنه ليس في صالح المرأة ولا في صالح المجتمع أن تحيا مع الرجل حياة مواجهة وصراع ، كذلك الذي وقع في أوربا وأمريكا إلى حد أن قامت هناك منظمات رجالية تدافع عن حقوق الرجال ضد تسلط المرأة ، إن المرأة إذا سارت في الطريق الذي يريده لها أعداء دينها فلن تكسب شيئًا وستخسر كل شيء ، إن الله تبارك وتعالى خلق المرأة للمهمة ذاتها التي خلق من أجلها الرجل ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ ، وأناط جل جلاله السعادة بتحقيق كل منهما لهذه المهمة ، والشقاء بالإعراض عنها ، قال جل وعلا : ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ الآيات .

**عبودية هي أعلى مراتب الحرية :**

لقد ألزم الإسلام الرجل والمرأة بالعبودية لله وحده في صورة الخضوع لمنهجه ودينه ، وهذه العبودية هي أرقى مراتب الحرية ، فالإنسان من خلال توجهه إلى الله وحده يتحرر من كل سلطان فلا يوجه قلبه ، ولا يطأطيء رأسه إلا لخالق السموات والأرض[٥٣] .

والمسلم بالإسلام يتحرر من سيطرة الهوى والشهوة ، والسلطان الذي يسيطر عليه إنما هو سلطان الشرع الحنيف ، قال تعالى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾ .

إذن هي حرية في صورة العبودية ، ولا يمكن للبشرية أن تتحرر حقًا إلا بتحقيق هذه العبودية .

---

(٥٣) انظر « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/٥٩٣،٥٩٨) .

إن الحرية في غير الإسلام تصبح حرية جوفاء لا معنى لها ، بل هي العبودية المذلة المهينة ، وإن بدت في صورة الحرية ، إن الخضوع للطواغيت من الزعماء والرؤساء والمناهج والقوانين والنظم وما تهواه الأنفس بعيدًا عن تشريع الخالق إنما هو عبودية لغير الله وأي عبودية :

هَرَبوا من الرِّقِّ الذي خُلِقُوا له ... فَبُلُوا بِرِقِّ الكفـرِ والشيطـانِ

## كلانا مظلوم :

إن التشريعات الإسلامية منزهة عن الظلم والإجحاف : ﴿ **إن الله لا يظلم الناس شيئًا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون** ﴾ ، ولئن ساء وضع المرأة المسلمة في بعض الظروف ، فإن السبب الحقيقي لهذا لم يكن التزامها بأحكام الإسلام - حاشا وكلا - بل هو في المقام الأول انحرافها عن الإسلام .

وإن الظلم الواقع على المرأة في ديارنا كالظلم الواقع على الرجل سواءً بسواء ، ليس سببه الإسلام الذي ندين به ، بل سببه البعد عن الإسلام ، وفصل الدين الحنيف عن واقع الحياة ونظمها .

## لا نُسَوِّغُ الأخطاء :

نحن أيضًا لا نسوغ ما حاق فعلًا بالمرأة من ظلم وأوضاع فاسدة ، فهناك من يكلفها فوق طاقتها ، ولا يرحم ضعفها ، هناك الآباء القساة ، والأزواج الجهلة الذين يضربون بناتهم وأزواجهم ضرب غرائب الإبل ، هناك من يهملون المرأة إهمالًا تامًّا ، ويهدرون حقوقها ، ونحن لا نتعامى عن ذلك ، ولكننا نعلم أيضًا أنه مرض من أمراض كثيرة تحيط بالأمة في رجالها ونسائها وأطفالها ، ونحمد كل مسعى لإصلاح الفاسد ، وتقويم المعوج ، ولكن لا نريد علاج الخطأ بخطأ آخر ، ولا نريد أن ننتقل من إفراط إلى تفريط ،

ومن ضلال إلى ضلال ، ورحم الله الإمامَ مالكًا القائل : « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

ونحن أيضًا حريصون على أن لا نشارك في هذا الظلم فنلقي اللوم كله على المرأة المظلومة أو الجاهلة .. فما أكثر هؤلاء النساء اللائي صُوِّر لهن أن خروجهن للتعليم - بوضعه الجاهلي - والعمل أيا كان نوعه ، وأن خروجهن للمحافل والمجتمعات المختلطة واجب شرعي أو مستحب وأنه حق ينبغي لها أن لا تفرط فيه بحال ، وأن قرارها في بيتها سجن وقيد وأغلال ، وأنه شلل لطاقاتها العظيمة ، وأن وظيفتها في هذا العصر صارت خارج البيت لا داخله ، وما أكثر دعاوى علماء السوء الذين ضللوا الكثيرات بفتاواهم ، وما أكثر النساء الصادقات النية في الالتزام بما يمليه عليهن دينهن لولا تشويش علماء السوء ، ولولا قهر الآباء « التقدميين » والأزواج « العصريين » !

ما أكثر المسلمات اللائي أطعن الله ورسوله ﷺ ، وأرضين الله ورسوله فسخط عليهن الآباء أو الأزواج وراحوا يذيقونهن صنوف الأذى والعذاب ، فاضطررن اضطرارًا للخضوع لقهرهم وإكراههم ، وعسى أن يعذرهن الله عز وجل :

ومن يَأْتِ الأمور على اضطرار فليس كمثل آتيها اختيارا[٥٤]

والحق أن الخطاب ينبغي أن يتوجه في المقام الأول إلى الرجال آباءً أو أزواجًا ، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة** ﴾ الآية . ( سورة التحريم :٦ ) .

وقال ﷺ : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ، وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ، وهو مسئول عن

---

(٥٤) انظر « القسم الثالث » ص (١٧٤-١٧٨) .

رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها »(٥٥) الحديث .

## شرع الله فوق الأمر الواقع :

[ ونحن لا ننكر أن الهوة فسيحة بين ما نحن عليه ، وبين ما ينبغي أن نكون عليه ، ويخطيء من يعتذر عن هذا بأن خروج المرأة إلى ميادين العمل ومغادرتها حصنها الحصين مخالطةً للرجال قد أصبح أمرًا واقعًا وقاعدة مقررة ، فلا نملك إلا الخضوع لها ، والجريان وراء التيار .

ولكننا نقولها لكل مسلمة ترجو الله واليوم الآخر ، وتعلم أنها مسئولة غدًا بين يدي ربها عز وجل : إن هذا الذي يسمى « بالأمر الواقع » سوف يظل في ميزان إسلامنا الحنيف باطلًا منقوضًا مهما طال العهد عليه لأنها سنن الله الكبرى التي لا تتبدل ولا تتحول ، والمعاند لها هالك لا محالة ، فالحق واحد لا يتغير ، ومهما يتقادم العهد على الباطل فسيظل باطلًا ، ومهما يجر العمل على غير الحق فسيظل الحق هو هو وإن حاد عنه كل الناس ، ثم إنه لا يبقى على توالي الأزمان إلا الحق ، لأن الباطل زهوق لا تدوم له دولة ، والحق هو الناموس ، هو قانون الله الذي لا يتبدل ، هو فطرة الله التي فطر عليها الخلق ، هو ما ركبه الله سبحانه في طبائع الأشياء حين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلًا** ﴾ ، ولكن الذي يحول ويزول هو المعاند لسنة الله وفطرته ، والذي يعارض الناموس ويخرج

---

(٥٥) رواه البخاري (١٣/١٠٠) في الأحكام : في فاتحته ، وفي الجمعة : باب في القرى والمدن ، وفي الاستقراض ، والعتق والوصايا ، والنكاح ، ومسلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة : باب فضيلة الإمام العادل ، والترمذي رقم (١٧٠٥) في الجهاد : باب ما جاء في الإمام ، وأبو داود رقم (٢٩٢٨) في الإمارة : باب ما يلزم الإمام من حق الرعية .

على الفطرة كالوعل الأحمق الذي وصفه الأعشى قديمًا حين قال :

كناطِحٍ صخرةً يومًا ليُوهِنَها فلم يَضِرْها وَأوهَى قَرْنَه الوَعْلُ][56]

(56) « حصوننا مهددة من داخلها » للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله (ص ١٣٢) .